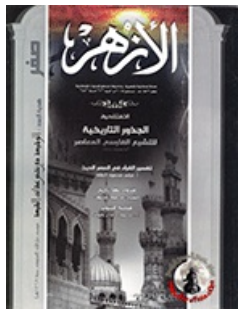

من هدی السنة: المساواة و المواساة فی الإسلام

پدیدآورنده (ها) : محمد محمد أبوشهبة

میان رشته ای :: نشریه الازهر :: السنة الأربعون، جمادی الثانیة ۱۳۸۸ - العدد ۴

صفحات : از ۲۵۸ تا ۲۶۲

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/429990

تاریخ دانلود : ۱۴۰۲/۱۰/۱۹

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسـلامی (نور) جهت ارائـهٔ مجلات عرضه شـده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغـذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشـد، نیازمنـد کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

عناوين مشابه

- من هدى السنة: من صور الجهاد و الاستشهاد فى الإسلام
- بين الحاكم و الرعية فى ضوء القران و السنة . .: الإسلام دين و دولة قيام الدولة الإسلامية على أساس من الحرية و العدل و المساواة
- من هدى السنة : مبدأ الإسلام فى القضاء و الدفاع
- (من هدى القرآن و السنة) فى اعداد الشباب
- شعاع: من أثر الكتاب و السنة و الفكر فى الإسلام (٢)
- من هدى الإسلام فى الملكية و التمليک
- من هدى السنة: يسر الإسلام و سماحته
- من هدى السنة : هدى الرسول صلى الله عليه و سلم فى تبليغ الدعوة و الدفاع عنها
- من هدى السنة : منهج الحياة فى الإسلام
- من هدى السنة : توجيهات الإسلام فى الأزمات النفسية

www.noormags.ir

من هدى السنة

المساواة والمواساة

في الإسلام

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن المعرور بن سويد قال : لقيت أبا ذر بالربذة ، وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : إني سابيت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ ! إنك امرؤ فيك جاهلية ! إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ».

رواه البخاري في كتاب الإيمان — باب المعاصي من أمر الجاهلية ، والعتق — باب قول النبي : « العبيد إخوانكم » ، وفي كتاب الأدب — باب ماينهى من السباب واللعن

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الشرح والبيان

« من هو أبو ذر ؟ »

هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري واسمه جندب ، وقيل بريد بن جناده (بضم الجيم والنون الخفيفة) ابن سفيان بن عبيد بن حرام (بالمهملتين) وغفار من بني كنانة وهو من السابقين الأولين للإسلام ولإسلامه قصة ذكرها البخاري في صحيحه : ذلك أنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ، ثم ائتني . فانطلق أخوه واسمه أنيس حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أبي ذر ، وقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاما ماهو بالشعر ، فقال أبو ذر : ما شفيتني مما أردت ، فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد الحرام فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لمن يحاول أن

www.noormags.ir

يتصل به ، فلما أدركه الليل رآه سيدنا على — كرم الله وجهه — فعرف أنه غريب فأضافه عنده ، ومكث ثلاثا وهو لا يسأله عن سبب قدومه على عادة العرب فى أدب الضيافة ، فلما كان اليوم الثالث قال له على : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال: إن أعطيتنى عهداً وميثاقا لترشدنى أخبرتك فأعطاه ما أراد فأخبره ، فقال له : إنه حق وهو رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ارجع إلى قومك فاخبرهم حتى يأتيك أمرى» فقال والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته « أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله » فمال عليه القوم وضربوه حتى أوجعوه ، فأتى العباس فأكب عليه وقال : ويلكم ألا تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليه وأنقذه منهم . فلما كان الغد عاد لمثلها فعادوا هم لمثل مافعلوا حتى أنقذه العباس ، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر ، وأحد ، والخندق ، ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فصحبه إلى أن توفى ، ثم خرج بعد وفاة الصديق إلى الشام فأقام بها حتى ولى عثمان رضى الله عنه ، ثم استقدمه بسبب شكوى معاوية منه لقوله بحرمة ما زاد من المال على قدر الحاجة ، وإنه كنز ، فصار الصبيان والناس يجتمعون عليه لغرابة قوله فاستأذن عثمان فى الخروج إلى الربذة ، وقال : إن رسول الله أمرنى أن أخرج منها — المدينة — إذا بلغ البناء سلعا فأذن له ونزل الربذة ، وبنى بها مسجدا ، وأقطعه سيدنا عثمان أرضا وصرمة (١) من الإبل ، وعلوكين ، وقيل إن عثمان نفاه إليها والأول هو الأصح ، وكان يتعاهد المدينة ، ومكث بالربذة حتى توفى ، واتفق مرور عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وهو مقبل من الكوفة ، مع نفر من فضلاء الصحابة فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ، ودفنوه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، وكان من أوعية العلم المبرزين فى الزهد والورع والقول بالحق ، وقد أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « فى أمتى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده » وقال : « من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر

(١) ما بين العشر إلى الأربعين (المصباح المنير) .

www.noormags.ir

إلى أبي ذر ، وقال : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر » وروي عنه أنه كان يقول : كان قوتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من تمر فلست بزائد عليه حتى ألقى الله وقد وفى بما قال فرضي الله عنه وأرضاه(١).

* * *

(لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك) :

الربذة : على وزن قصبة موضع على ثلاثة أميال من المدينة . الحلة : ثوبان من جنس واحد ، غلامه : عبده وقد بينت الروايات الأخرى أنه كان عليه برد ، وعلى غلامه برد آخر فقيل له لو أخذت البرد الذي على غلامك اصار لك من البردين حلة ، فقال : لا ، ثم سئل عن السبب في إلباس مملوك مثل ما يلبس ؟

(فقال : سابيت رجلا فعيرته بأمه).

سابيت : شاتمت ، رجلا : هو بلال بن رباح مولى الصديق ومؤذن رسول الله ، وفي الأدب المفرد للبخاري ، كان بيني وبين رجل كلام ، فعيرته بأمه : أي نسبه إلى العار بسبب أمه ، وكانت أمه أعجمية فنلت منها وقلت : يا ابن السوداء فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعيرته بأمه فقلت : من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، وهذا يدل على أنه حصلت بينهما مسابة ، فعيره أبو ذر بأمه .

(فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية) .

هذا من النبي صلى الله عليه وسلم تأكيد مما بلغه وكأن بلالا اشتكى إلى النبي فسأل النبي أبا ذر ليرى أصدق أم لا ؟ وهكذا ؛ القاضي لا يحكم بمجرد الاستماع من أحد الخصمين بل لابد من سؤال الآخر ، الجاهلية : تطلق ويراد بها ما قبل الإسلام لما غلب فيها من الشرك ، والجهل ، والسفه ، وفساد القيم الخلقية ، وتطلق ويراد بها ما بين مولد النبي إلى البعث وقد ورد هذا الاستعمال الثاني في بعض الأحاديث . والمراد هنا الأول ، وفي رواية « كتاب الأدب » على ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : « نعم » وقد أثر هذا التأديب النبوي في نفس أبي ذر حتى روي أنه وضع خده على الأرض ، وقال : لا أرفعه حتى يطأه بلال بقدمه !!

وفي الحق أن الإسلام قضى على العنجهية الجاهلية والتفاخر بالأحساب والأنساب ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ولما دخل

---

(١) صحيح البخاري ـ باب إسلام أبي ذر ، والإصابة في تاريخ الصحابة ، والاستيعاب على هامش الإصابة ترجمة أبي ذر .

www.noormags.ir

النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا كان مما قال في خطبته : « يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(١) وفي حجة الوداع أكد مبدأ المساواة فقال : « أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » .

وقد طبق مبدأ المساواة عمليا لا نظريا كما هو شأن بعض الدول التي تدعي الحضارة اليوم ، فوصل بعض الموالي إلى المناصب الدينية والدنيوية الرفيعة ، ولو أخذت في بسط ذلك لاحتاج إلى مقال برأسه ولكن يحسبنا في هذا أن بلالا كان المؤذن ، وكان الأذان يلي منصب الإمامة وأن سيدنا عمر بن الخطاب القرشي العدوي قال في الصديق : هو سيدنا وأعتق سيدنا يريد به بلالا !!

(إخوانكم خولكم) الخول بفتح الخاء والواو بمعنى الخدم أي خدمكم إخوانكم ، مبتدأ وخبر ، سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أن يتعهدونها ويصلحونها . ومنه : الخولي لمن يقوم بإصلاح البستان . ويقال الخولي : جمع خائل وهو الراعي . ويأتي التخويل بمعنى التكليف وعبر النبي بالخدم ليشمل المملوك وغيره ، وأن الكل في البر والعطف سواء ، وقدم رسول الله « إخوانكم » للإشارة إلى أن الأخوة الإنسانية هي الأصل وأما الملكية أو الخدمة فأمر عارض . وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « جعلهم الله تحت أيديكم » مجاز عن التصرف أو الملك ، وفيه تعطيف لأسيادهم أو مخدوميهم عليهم . وبيان أن الله هو الذي فعل . ولو شاء لعكس الأمر فصار المملوك سيدا ، والخادم مخدوما ، فلله در الكلام النبوي .

(فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس) .

من في « مما » للتبعيض أي فليطعمه من جنس ما يأكل وليلبسه من جنس ما يلبس أو بعضه ، ويؤيد ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله منه لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه وحره » فدل هذا على أن المراد بحديث أبي ذر المواساة وأنه ليس بلازم المساواة ولا أن يجلسه معه فالأمر متروك لتقدير المالك أو السيد ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حكيما غاية

(١) الحجرات الآية ١٣

www.noormags.ir

الحكمة فى تشريعه هذا فالناس ليسوا سواء فمنهم من لا يأنف من إجلاس خادمه معه وهم ذووا الأخلاق العالية والنفوس المتواضعة ومنهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يأنف من ذلك . وكذلك الخدم ليسوا سواء ، فمنهم من يبطره أو يفسد طباعه أن يجلسه سيده معه ، ومنهم - وقليل ما هم - من يزيده ذلك أدبا مع سيده ، وتفانيا فى خدمته . ألا ما أعظم تشاريع الإسلام وما أصلحها لكل النفوس ، ولكل زمان ، ومكان .

وقد اختار السيد الزاهد المتواضع أبو ذر المساواة بينه وبين غلمانه وآثرها على المواساة والظاهر أن أبا ذر كان يرى لزوم المساواة فقد روى الطبرانى عن أبى أمامة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى أبا ذر عبدا فقال أطعمه مما تأكل ، وألبسه مما تلبس ، وكان لأبى ذر ثوب فشقه نصفين فأعطى الغلام نصفه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال قلت يا رسول الله أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون قال : « نعم » وقد وافقه النبى على ما فهم ، لأنه الأفضل والأليق بأمثال هؤلاء السادة الأخيار ، وأما من ليس على شاكلتهم فهو فى فسحة من هذا .

(ولا تكلفوهم من يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم) : التكليف تحميل النفس شيئاً فيه كلفة ، مايغلبهم : أى عملا ماتصير قدرتهم فيه مغلوبة ويعجزون عنه لعظمه أو صعوبته فإن حدث وكلفتموهم ما يشق عليهم أداؤه وحدهم فأعينوهم ، وهذا من غرر الأخلاق والفضائل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم القدوة فى هذا .

وبعد : فهذه صورة مشرقة ترينا أن الإسلام - وإن أباح الرق فى أضيق صوره - إنما قصد به أن يكون تربية وتهذيبا وتعاونا ، لا أن يكون استغلالا أو استذلالا ، وأن الإسلام بلغ فى المساواة بين العرب والعجم ، والبيض والسود ما لم يبلغه كثير من أمم الحضارة اليوم ، وأن الخدم والأجراء لهم حق الأخوة الإنسانية على سادتهم ومخدوميهم ولعل فى هذا وازعا وواعظا للسادة والسيدات الذين واللاتى يسئن إلى الخدم بل ويسرفن فى الإساءة والذى نفسى بيده لو نفذ الإسلام عقيدة ، وعلما ، وعملا ، وسلوكا ، لكانت المجتمعات الإسلامية خير المجتمعات وأفضلها ولكنا السابقين فى ركب الحضارة والتقدم فمتى يكون هذا يا قومى المسلمين والعرب ؟ ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

www.noormags.ir